Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأطلال على طريقة الجاهليين ، يقول أبو نواس فى مطلع إحدى قصائده فى المديح :

ألا حىِّ أطْلاَلَ الرُّسومِ الطَّوَاسِمَا عفَتْ غيْرَ سُفْعٍ كالحَمَامِ جَواثِمَا[٣٩]

ونلاحظ ــ بالإضافة إلى هذا المطلع التقليدى ــ الألفاظ الغريبة التى لا تناسب حضارة العصر العباسى ، كذكره للكلمات « الطواسما ، سفع جواثما » . وإذا كان أبو نواس يتباين فى صوره الشعرية تبعاً لما تمليه عليه ظروفه ، فإنه يستخدم ثقافته الواسعة فى الشعر القديم أحياناً وثقافته الأجنبية أحيانا أخرى فى إطار الصنعة الفنية وحسبما يكون الغرض أو الفن الذى يستدعيه موقفه وتفكيره . فلا غرابة أن نجد الصورة القديمة عند الشاعر فى شعر الطرد ، ومن الأمثلة على ذلك هذه الأبيات التى نرى فيها الألفاظ الغريبة الموحشة ، وما يفرضه جو البادية على تفكير الشاعر ، يقول أبو نواس فى وصف كلب :

قد اغْتَدِى والطيرُ فى مثْواتِهَا لم تُعْرِبِ الأفواهُ عن لُغَاتِهَا
بأكْلُبٍ تمرحُ فى قداتِهَا تعدّ عِينَ الوحْشِ من أقواتِهَا
قد لوّحَ التقديحُ وارِياتِهَا وأشفق القانص من خفاتِهَا[٤٠]

ففى هذه الصورة نرى الجو البدوى الخالص الذى لا نحسّ فيه بروح الألفاظ الرشيقة واللغة السهلة التى نحسّ بها فى خمرياته وغزله . فنراه فى البيت الأول يأخذ الشطر الأول بألفاظه ومعانيه من قول امرىء القيس « وقد أغتدى والطير فى وكناتها » ، إلا أنه وضع « مثواتها » بدلا من « وكناتها » ، وفى الشطر الثانى نرى الاستعارة فى قوله « عن لغاتها » ، والكناية واضحة فى قوله « لم تعرب الأفواه » عن صدور الأصوات من الطيور ، والفعل « تعرب » لا يستخدم إلا للإنسان فهو الذى يستطيع أن يعرب ويفصح عما فى نفسه ، فاستعار الفعل للطيور وكنى عنها بالصمت . وفى البيت الثانى جعل الكلاب تمرح بقلائدها وهى تبحث عن طعامها وتعدّ بقر الوحش ، ونراه فى قوله « عين الوحش » يلجأ إلى استخدام ألفاظ الجاهليين . أراد الشاعر أن يعطينا صورة

(٣٩) ديوان أبى نواس (الغزالى) ٥٠٠ .
(٤٠) المصدر نفسه ٦٢٨ .